مع الإعجاز العلمى

فى

ســــورة الإخـــــلاص

بقلم
ياسين الليثى
باحث
في الإعجاز العلمى للقرآن الكريم
والسنة الشريفة

بسم الله الرحمن الرحيم

{ قل هو الله أحد .. الله الصمد .. لم يلد ولم يولد ..

ولم يكن له كفوًا أحد . }

- ذهب أساتذتنا الفقهاء والعلماء .. والسلف الصالح إلى أن .. النبي محمد صلى الله عليه وسلم ، سئل عن ربه .. فجاءه الأمر في هذه السورة ..

بأن الله هو الجامع لصفات الكمال . الواحد الأحد . المقصود على الدوام في كل الحوائج . وانه سبحانه وتعالي الغني عن كل ما سواه .. المنزه عن المجانسة أو المماثلة .. أي ليس كمثله شئ .. لم يلد .. ولم يولد .. ولم يكن له من خلقه جميعا .. نظير .. ولا مشاكل .

• • •

- وفي رأي آخر

قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم

نحن نعبد كذا .. وكذا .. (يقصدون الأصنام .. وغيرها .. ويشيدون بها .. شكلا .. وموضوعا ... ومآثرها .. إلي غير ذلك من أساليب عبادتهم .. من دون الله .

فأنزل الله تعالي على رسوله صلي الله عليه وسلم

قل هو الله أحد .. يعنى الواحد الأحد .. الذى لا نظير .. ولا شبيه .. ولا ند.. ولا عديل له .. لأنه سبحانه وتعالى الجامع لكل الصفات .. وهو السيد الباقي بعد خلقه .. لا اله إلا هو الحي القيوم .. هو الصمد الذى يصمد إليه الخلائق.. كل الخلائق في حوائجهم ومسائلهم .

١. قل يا محمد .. لمن قالوا مستهزئين .. صف لنا ربك ؟! هو الله أحد لا سواه .. ولا شريك له ..

٢. الله المقصود وحده في الحوائج والمطالب .

٣. لم يتخذ ولدا .. ولم يولد من أب أو أم .

٤. ولم يكن له أحد شبيها أو نظيرا .. ليس كمثله شئ .

وتسمى السورة باسم سورة .. الصمـد .. كمـا تسـمى باسـم سـورة الإخـلاص.. والإخلاص هو الطاعة .. وتـرك الريـاء ..

• • •

إذا كلمـة قـل .. هـي إجابـة .. وأمـر مـن الله سـبحانه وتعـالي .. .. إجابة لمن ؟ ! لكل هؤلاء الذين يسألونك وسؤالهم أيا كـان فـي جميـع أشـكاله .. بكلمة هل ؟ ! أي يحمل معنى البراءة للمعرفة .. والفطرة البشرية .. أم كان لغـيرهم مـن المعـاندين .. المتكـبرين .. المسـتهزئين أو المتندريـن .. والمشـركين .. قل لهم [.. هو الله أحد ..] .

• • •

- وأمر التكوين كما شاء الله سبحانه وتعالي يسبق أمر التشـريع بالنسـبة للإنسـان .. ومن ثم لا حرية للإرادة فيه .. مثال ذلك قريب للأذهان والفكر .. أن السـماء ليسـت مختارة أي ليست لها حرية للإرادة .

أما أمر التشريع من الله سبحانه وتعالي وبحكمته ورحمته .. فهو واسع المجال لحريـة الإرادة.. وتعمل الإرادة فيه ما تختار .. ومن ثم يكون واسع المجال أيضا للمسـاءلة .. وكذلك مجال المسئولية ..

• • •

ويا عزيزي القارئ ..

لو تعمقنا أكثر .. مع الإعجاز العلمي .. وتعايشنا معه قلبا وروحا .. صافية لله تعـالي عز وجل .. نجد أن هذا السؤال أو هذه الأسئلة التي طرحت علي رسول الله صلـي الله عليه وسلم .. وجاءت الإجابة من الله عز وجل بكلمة قل .. والآية الكريمـة بأكملـها (قل هو الله أحد) نجد فيها شيئا عظيما .. كريما .. بـالغ الأثـر .. إذ تحـول السـؤال والإجابة بفضل الله ورحمته علي البشرية .. إلي شئ هام جـدا .. وهـو أنـه أصبـح [سـؤال ودعـاء إلـي الله عـز وجـل ..] سـؤال للحاجـة .. ولكـل حاجـة .. والمطلب .. ولكل مطلب .. ودعاء إلي الله بطلب العون والمساعدة .

وكما هو شائع أو رائج بين الناس ..

•• إذا سألت فاسأل الله .. وإذا استعنت فاستعن بالله ..

•• والآية الكريمة .. [قل هو الله أحد ..]

هى أيضا في إيجاز شامل .. وجامع .. دعاء إلى الله .

•• ونذكر أنفسنا .. ونذكرك أيها القارئ العزيز ..

نذكرك بما كان يقوله سيدنا بلال رضي الله عنه في مواجهة محنته .. وإيذائه .. وآلامه .. وسخرية الكفار والمشركين به .. وهو تحت رحى التعذيب والحجر الثقيل فوقه .. وفي لهيب الشمس المحرقة ..

•• وبكل الإيمان .. والثقة .. والإعزاز .. والطلب .. والسؤال .. والعون من الله عز وجل .. كل هذا في إيجاز شامل .. جامع .. مختصر .. كان يقول .. أحد .. أحد ..

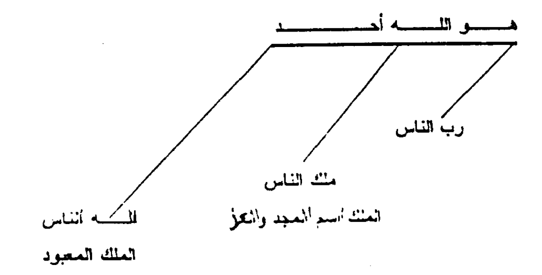
• • •

•• وكذلك لو تعايشنا مع الآية الكريمة

نجد أن الكلمات الثلاث هو .. الله .. أحد

كلها .. وكل كلمة فيها ترجع .. وتعني الله الواحد الأحد

إذا السؤال والدعاء .. الشامل .. الجامع .. الموجز .. والمختصر



يعنى الاتجاه إلي الله بصفاته الكاملة .. والتامة .. وفي إيجاز.

ومن ثم يكون السؤال والدعاء لله عز وجل :

هـــو الله أحـــد ... أنـــه ســبحانه رب النـــاس .. ملـــك النـــاس .. إلـــــه النـــــاس سؤال ودعاء موجز .

لأننـــا لـــو نظرنـــا للحالـــة النفســـية للإنســـان .. فـــى حـــالات كثـــــيرة مثـــــل : كرب .. هم .. غم .. كارثة .. ضائقة .. فاقـــة .. إحتيـــاج ، وغـــير ذلـــك كثـــير ... نقول أن الإنسان في هذه الحالة النفسية قد لا يتذكر .. أو تخونه الذاكرة .. أو الحفـظ.. أو المراجعة .. أو حسن اختيار السؤال .. أو الدعاء المناسب ..

فكانت رحمة الله عز وجل على الإنسان أن أنعم عليه عند الالتجاء إليه اللجـــوء بـــهذه العبارة الموجزة الشاملة :

[هو الله أحد] .. أى [رب الناس .. ملك الناس .. إله الناس] .

أما والحالة النفسية المرتبكة .. للظروف الطارئة مثـــلا .. القاســـية .. المهاجمـــة .. فهي .. تختلف عن الحالة النفسية التى يمكن للإنسان .. ولو لبرهـــة أن يعمـــل فيـــها فكـــــره وعقلـــــه .. مثل شئ من وسوسة الشـــيطان .. أو الإنســـان .. أو مشـــاهدة لعمل لا يرضاه الضمير والعقل .. أو سماع ما يشين الفكر .. أو الممارســـة الطبيعيـــة للحياة.. عندئذ يستعيذ بالله ويقول كما أمرنا الله عز وجل :

قل أعوذ برب الناس .. ملك الناس .. إله الناس .. .. لأن في هذه الحالة ســـيكون عند الإنسان بعض من الهدوء الفكري .. والروية .. وثـــم يلجـــأ للاســـتعاذة بـــالله .. وبصفاته عز وجل .. الرب .. والملك .. والإله .. الواحد الأحد .. لا شريك له .

• • •

نقول أن هذا الإيجاز الشامل الجامع مطلوب للإنسان .. بل للبشرية بأكملها .. خاصة ما وصلت إليه الآن .. ووصل إليه حالها من السرعة الفائقة .. كذلك لأن حياة الإنســـان .. بل مسيرته بأكملها في الحياة الدنيا .. إن هي إلا لحظة .. أو أقـــل .. مـــن الثانيـــة .. في عمر الزمن .

والحسنات والسيئات تقاس .. بالذرة .. بمثقال ذرة ..

قال تعالي :-

[فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره .. ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره ..]

صدق الله العظيم ..

- ولهذا كانت اللحظة هامة جدا في حياة كل انسان .. بل البشرية .. لأنه في اللحظة التي يترك أو يتخلي أو ينصرف فيها الناس الي عبادات أخري .. غير عبادة الله ..

تحتضر روح الطمأنينة والاستقرار بل والكمال والجمال علي وجه الأرض .. وتعتلي الرذيلة .. والفساد .. عرش القبح .. كسادة للحكم والتحكم .. وتتحطم مقومات النفس البشرية ومبادئها الي أشلاء متناثرة .. وينكسر بنيان الانسان .. وينهزم في قوام داخله .. وينتكس العقل البشري .. ويتواري الفكر الصحيح والسليم .. وتقفز الي الوجود نوازع البغض والتسلط .. والطغيان .. ويزيد ظلم الظالمين .. ويزيد ذل المظلومين .. ويزداد فقط الفقراء فقرا .. وهما .. وغما .. ويزداد غني الأغنياء فحشا ..

• • •

ولما كان الكتاب .. القرآن الكريم .. جامع مانع .. أي جامع لكل شئ .. ومانع من عدم وجود شئ ..

وسيجد كل قارئ أمرين هامين ..

الأمر الأول: آيات كثيرة عن الوحدانية .. وأن الله سبحانه وتعالي الواحد الأحد ..

الأمر الثاني: آيات كثيرة أخري .. تؤكد إستحالة تعدد الآلهة ..

وفي بيان ذلك .. وفي خصوص الأمر الأول .. الوحدانية ..

يجد القارئ .. أو الباحث .. الآيات الكريمة التالية .. عن ..

الواحـــد الأحـــد

الواحد الأحد :

{ وإلهكم إله واحد لا إله إلا هو الرحمن الرحيم } *البقرة ١٦٣*

{ يوم تبدل الأرض غير الأرض والسماوات وبرزوا لله الواحد القهار} *ابراهيم ٤٨*

{هذا بلاغ للناس ولينذروا به وليعلموا إنما هو اله واحد وليذكر أولي الألباب} *ابراهيم ٥٢*

{ إلهكم إله واحد فالذين لا يؤمنون بالآخرة قلوبهم منكرة وهم مستكبرون} *النحل ٢٢*

{ قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلي إنما أنا إلهكم اله واحد فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولايشرك بعبادة ربه أحدا} *الكهف ١١٠*

{ قل إنما يوحى إلي إنما إلهكم إله واحد فهل أنتم مسلمون} *الأنبياء ١٠٨*

{ إن إلهكم لواحد . رب السماوات والأرض وما بينهما ورب المشارق} *الصافات ٤،٥*

{ يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم ولا تقولوا علي الله إلا الحق .. إنمـــا المســيح عيسي بن مريم رسول الله وكلمته ألقاها إلي مريم وروح منه فآمنوا بالله ورســله ولا تقولوا ثلاثة انتهوا خيرا لكم إنما الله إله واحد سبحانه أن يكون له ولد له مـــا في السماوات وما في الأرض وكفي بالله وكيلا} *النساء ١٧١*

{ لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة وما من إله إلا إله واحد وإن لـــم ينتــهوا عما يقولون ليمســـن الذيــن كفــروا منــهم عــذاب أليــم}

المائدة ٧٣

{ اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله والمسيح ابن مريم وما أمـــروا إلا ليعبدوا إلاهاً واحدا لا إله إلا هو سبحانه عما يشركون} *التوبة ٣١*

وفي بيان .. وخصوص الأمر الثاني .. إستحالة تعدد الآلهة

يجد القارئ .. أو الباحث .. الآيات الكريمة التالية :

(استحالة تعدد الآلهة)

{ وإذ قال الله يا عيسي ابن مريم .... } *المائدة ١١٦/١١٧*

ماقلت لهم إلا ما أمرتنى به ....}

(إن الذين اتخذوا العجل سينالهم غضب من ربهم وذله) *الإعراف ١٥٢*

{ قل لو كان معه ألهه كما يقولون إذا لابتغوا إلي ذى العرش سبيلا. سبحانه وتعالي عما يقولون علوا كبيرا} *الإسراء ٤٢/٤٣*

{ الله لا إله إلا هو رب العرش العظيم } *النمل ٢٦*

{ قل من يكلؤكم بالليل والنهار من الرحمن بل هم عن ذكر ربهم معرضون}

{ أم لهم آلهة تمنعهم من دوننا لا يستطيعون نصر أنفسهم ولا هم منا يصحبون} *الأنبياء ٤٢/٤٣*

{ إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم أنتم لها واردون. لو كان هؤلاء آلهة ما وردوها وكل فيها خالدون} *الأنبياء ٩٨/٩٩*

{ يا أيها الناس إذكروا نعمت الله عليكم هل من خالق غير الله يرزقكم من السماء والأرض لا إله إلا هو فأنى تؤفكون} *غافر / ٣*

{ قل أرأيتم ما تدعون من دون الله أرونى ماذا خلقوا من الأرض أم لهم شرك في السماوات أئتونى بكتاب من قبل هذا أو أثاره من علم إن كنتم صادقين} *الإحقاف / ٤*

{ ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من آلهة إذا لذهب كل إله بما خلق ولعلا بعضهم علي بعض سبحان الله عما يصفون} *المؤمنون /٩١*

{ واتخذوا من دونه آلهة لا يخلقون شيئا وهم يخلقـــون ولا يملكون لأنفســـهم ضـــرا ولا نفعـا ولا يملكـون موتـا ولا حياة ولا نشورا } *الفرقان / ٣*

{ لو أراد الله أن يتخذ ولدا لاصطفي مما يخلـــق مـــا يشـــاء سبحانه هو الله الواحد القهار} *الزمر / ٤*

{ يوم هم بارزون لا يخفي علي الله منهم شئ لمـــن الملــك اليوم لله القهار} *غافر / ١٦*

ومع الرسالة المقدسة .. الخاتمة .. لخاتم الأنبياء والمرسلين .. سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم .. الكتاب .. القرآن الكريم .

وفي خصوص الوحدانية .. واستحالة تعدد الآلهة ..

- نجد إعجاز علمي عظيم .. نجد إستحالة معجزة مطلقة .. هذه الإســـتحالة هـــي فـــي حقيقتها استحالة تعجيز .. أي أن أيا كائن ما كان وخاصة الإنسان سيقف عـــاجزاً .. عجزا تاما ..

- حيث وجه الله تعالى قوله للناس كافة :-

{ وإن كنتم في ريب مما نزلنا علي عبدنـــا فـــأتوا بســـورة مـــن مثلـــه وادعـــوا شهداءكم من دون الله إن كنتم صادقين} *البقرة ٢٣*

والآية الكريمة بذاتها .. واضحة البيان .. والدلالة .. لأن الله سبحانه وتعـــالي يؤيـــد عبده (محمد صلي الله عليه وسلم) بكتابه ويشهد له بأفعاله ..

- كما وجه الله تعالى قوله للرسول صلى الله عليه وسلم :-

{ أم يقولون افتراه قل فأتوا بعشر سور مثله مفتريات وادعوا من استطعتم مـــن دون الله إن كنتم صادقين .. فإلم يستجيبوا لكم فاعلموا إنما انزل بعلم الله وإن لا إله إلا هو فهل أنتم مسلمون} سورة هود / ١٣-١٤

والآية الكريمة أيضا واضحة البيان .. والدلالــة .. علــي وجــود اسـتحالة مطلقــة .. لستحالة عجز .. وتعجيز لكل الكائنــات .. خاصــة الإنســان .. ونقــول خاصــة الإنسان .. تحديدا .. لأن الله فتح علـــي البشــرية .. بتتــابع العلــوم .. وتطورهــا .. وقد يخطر ببال عالم .. أو علماء أياً كانوا بما توصلـــوا إليــه حديثــا مــن آلات معقــدة .. تكنولوجيــا .. وإليكترونيــات .. وهوائيــات .. وكمبيوتــرات .. إلـــي محاولة لتفسير .. أو ثمة إدعــاءات .. أو مزاعــم .. فــإن الإســتحالة مطلقــة .. إســتحالة معجــزة .. (اســتحالة أن يــأتوا بمثلــه) .. اســتحالة لكــل الكائنــات والإنسان بالعجز .. والتعجيز .. وتلــك حجــة دامغــة .. لأن الله عــز وجــل هــو الواحد الأحد .. لا شريك له .. هو المقصــود وحــده فــي الحوائــج والمطــالب .. ليس له شبيه .. ولا ند .. ولا نظير.. وليــس كمثلــه شــئ .

• • •

{ تَبَارَكَ اسْمُ رَبِّكَ ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ }

سورة الرحمن

• • •